محاضرات فى التفسير

للأستاذ على العمارى

تحتفل قاعة المحاضرات بدار الحكمة فى يوم الأربعاء من كل أسبوع بنخبة ممتازة من رجال العلم والأدب فى القاهرة يستمعون إلى أحاديث فى تفسير القرآن الكريم يلقيها طائفة من العلماء الأعلام، سمعنا منهم إلى الآن فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت عضو هيئة كبار العلماء وفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور عبد الوهاب عزام بك والأستاذ عبد الوهاب حمودة، ومع أنهم أسمعونا الطيب المعجب، وطالعونا بأساليب جديدة فى تأويل الآيات وفهمها وتفهيمها، ومع أننا نحب أن نسمعهم كثيراً إلا أننا مع ذلك نحب أن نسمع غيرهم من كبار المشتغلين بدراسة القرآن الكريم، فاننا اليوم فى حاجة إلى الإطلاع على أكثر من أسلوب فى هذا التفسير خصوصا وقد زاد تنبه الأذهان إلى ضرورة وضع تفسير جديد سهل المأخذ قريب التناول خاليا من تلك الأساطير التى ملأ بها المفسرون كتبهم، وليس القول فى قلة جدوى هذه التفاسير، وعدم غنائها من مواليد هذا العصر ولكنه قديم، فقد أنحى بعض العلماء الفضلاء عليها باللائمة، ومن هؤلاء إمام البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجانى فقد قال فى كتابه دلائل الإعجاز «ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن توهموا أبداً فى الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويعنوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف، وناهيك بهم إذا هم أخذوا فى ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون فى غير طائل. هناك ترى ماشئت من باب جهل قد فتحوه، وزند ضلالة قد قدحوا به. ونسأل الله تعالى العصمة والتوفيق»

ونحن اليوم أكثر معرفة بهذه الأبواب المفتوحة من الجهل فى بعض التفاسير، وأشد حاجة إلى أسس جديدة صحيحة غير هذه الأسس القديمة، وهذه المحاضرات تبشر ببداية حسنة، ففيها من دقة الفهم، وجمال العرض والبعد عن الفضول مايجعلنا نؤمل أن تكون خطوة أولى فى سبيل وضع هذا التفسير المرتقب، وياحبذا لو قام المشرفون على تنظيم هذه المحاضرات بطبعها حتى تذيع وتنتشر ويعم بها النفع.

وقد استمعت فى آخر مرة إلى فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف يفسر الآيات الأولى من سورة آل عمران، وقد أعجبت به إعجابا ملأ نفسى، غير أنى كنت أود أن أناقشه فى بعض ماعرض له، وقد لقيته بعد المحاضرة فاعتذر بأنه متعب فرأيت عرضها على صفحات الرسالة الغراء، ذكر الأستاذ — كثيره — أن القرآن اشتمل على كثير من السنن الكونية، ولست أريد أن أخالف عليه فى هذا، وأن أعيد ماقاله جماعة من كبار العلماء وفندوا به هذه النظرة إلى القرآن فلكل وجهة، لكن الذى أريد أن أخالفه فيه أنه تحدث عن دوران الأرض وقال إن القرآن صريح فى الدلالة على هذه الحركة وذكر قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون» وربما تعجب معى كيف ذهب على المحاضر — وهو رجل فاضل — موضع هذه الآية من القرآن، ولكن هذا يدلنا أكبر الدلالة على استيلاء النقص على جملة البشر، والعرب يقولون فى أمثالهم «قد يكبو الجواد»

هذه الآية فى سورة النمل تصور حالة من أحوال يوم القيامة «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش» وكما قال تعالى فى سورة الكهف «ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا» جاءت هذه الآية فى هذا السياق «ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، وكل أتوه داخرين، وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون» فليس بخاف أن الآية تذكر حالة من أحوال ذلك اليوم وليس فيها أية إشارة إلى حال الجبال فى الدنيا وقد بدا لبعض من ناقشته فى هذا الأمر أن قول الله تعالى «صنع الله الذى أتقن كل شىء» فيه دليل على أن هذه الرؤية مما يكون فى الدنيا وإليه ماقاله الإمام الزمخشرى فى تفسيره الكشاف «صنع الله. يريد به الإثابة والمعاقبة، وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التى أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال «الذى أتقن كل شىء» يعنى أن مقابلته الحسنة بالثواب، والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء، وإتقانه لها، وإجرائه لها على قضايا الحكمة إنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك»

على العمارى

(١) سورة القارعة.